الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ١٨ صفر ١٤٠٤هـ

المسلمون في المانيا الاتحادية :

من اين أتوا ؟ وكيف يتعلم ابناؤهم الاسلام؟

بروكسل ـ «الشرق الاوسط» ـ من عادل صلاحي :

في الدورة الرابعة للمجلس القاري لمساجد اوروبا التي عقدت اخيرا في المركز الثقافي الاسلامي في بروكسل ، قدم الدكتور محمد الهواري ، ممثل المانيا الغربية ونائب مدير المركز الاسلامي ومسجد بلال في اخن ، بحثا عن أوضاع الاسلام والمسلمين في المانيا الاتحادية . وقد تضمن البحث معلومات هامة ، وجوانب تستدعي تضافر الجهود من كل الجهات التي يهمها مستقبل الاسلام في اوروبا ، من اجل توفير الحد الادنى من الخدمات التعليمية والاجتماعية التي تكفل للمسلمين في المانيا الحفاظ على وجودهم وشخصيتهم الاسلامية . وتنشر «الشرق الاوسط» هذا البحث موجزا على حلقتين ، نقدم اليوم الأولى منهما .

اولا : نظرة تاريخية مجملة

يعيد الغربيون الاحتكاك الاول للالمان بالاسلام والمسلمين الى القصص المشهورة حول بعثات هارون الرشيد وهداياه لشارلمان . وتنقل كتب التاريخ العربية الحديثة ذلك عن المصادر الغربية ، بينما لا توجد مصادر تاريخية اسلامية موثقة حوله .

ويربط الغربيون هذه القصة بأن «المسلمين في الاندلس سعوا عام ٧٧٧م للتحالف مع شارلمان .. فسارع الرشيد لتطويق هذا التحالف بالتفاهم معه !» .

وبغض النظر عن الاحتكاك العسكري في فترة الحروب الصليبية ، ثم لدى وصول المسلمين في العهد العثماني الى ابواب فيينا ، فيبدو ان وجود الاسلام في المانيا يعود الى مطالع القرن الثامن عشر الميلادي في عهد الدولة البروسية ، اذ قامت بين بروسيا والدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني (١٧٢٠ ـ ١٧٥٤م) علاقات دبلوماسية . واستعان البروسيون بالمدربين المسلمين على الفروسية حتى بلغ عدد هؤلاء في الجيش البروسي حوالي الف فارس في نهاية القرن الثامن عشر . ولم تكن غاية نشر الدعوة بعيدة عن هذه الاتصالات العثمانية ـ الالمانية ، مما يستشف مثلا من نص تقرير رفعه «احمد افندي» مبعوث السلطان عبد الحميد الاول الى برلين ، فكتب فيه بعد تلك الزيارة يقول : «ان سكان برلين يعترفون بالنبي محمد ولا يترددون عن اعلان استعدادهم لقبول الاسلام» ..

وعلى اية حال تروي بعض المصادر انه سمح لبعض المسلمين العثمانيين المقيمين في بروسيا ان يقيموا مصليات لهم ، ربما كان اولها عام ١٧٢١م .

واول اسم الماني توثق المصادر التاريخية اعتناق صاحبه للاسلام هو اسم «جوستاف ادولف فون فريدي» عام ١٨٢٥م ، الذي ظهر فيما بعد في مواقع عديدة في خدمة الجيش العثماني في اسطنبول وشمال افريقيا .

ثم اصبح يوجد في القرن الثامن عشر الميلادي حوالي ١٢ مليون الماني في اواسط افريقيا ، بهدف اقامة مستعمرة المانية كبيرة في القارة ، فاعتنق حوالي مليونين منهم الاسلام

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وذابوا في المجتمع الاسلامي هناك ، وربما عاد بعضهم الى المانيا . ويبرز اسم الالماني الاخصائي بالدراسات الافريقية دكتور ادوارد شينتسر الذي اعتنق الاسلام عام ١٨٧٥م ، ثم اصبح باسم محمد امين باشا حاكما للمقاطعة الاستوائية المصرية سنة ١٨٧٨م .

وكانت الموجة الأولى لانتشار أعداد كبيرة من المسلمين داخل المانيا هي موجة هجرة كثير من المسلمين في بداية القرن العشرين الميلادي من اوروبا الشرقية فرارا من انتشار الشيوعية ، ومعظم هؤلاء كانوا من ذوي الأصل الألماني .. أو حصلوا على الجنسية الالمانية .

وتقدر المصادر الالمانية «الكنسية» عدد المسلمين ذوي الجنسية الالمانية حاليا بـ ٦٥٠٠ مسلم فقط منهم ١٥٠٠ من ذوي الأصل الالماني . ويبدو ان هذا الرقم ادنى من الواقع بكثير ، وكانما اعتمد على بعض التسجيلات الرسمية ، مهملا من اعتنق الاسلام من الالمانيات ، وكذلكم الأولاد من زيجات مختلطة ، وهؤلاء يعدون عدة آلاف بالتأكيد . وكانت حركة اخذ الجنسية الالمانية على صعيد العمال المسلمين في فترة الخمسينات والستينات واسعة النطاق نسبيا ، ولا تجد من القيود ما تجده اليوم .

كذلك تردد المصادر نفسها ان مجموع عدد المسلمين في المانيا الاتحادية يعادل ١.٥ - ١.٨ مليون مسلم ، ولكن التدقيق في الأرقام التفصيلية الصادرة عن نفس الجهات الاحصائية والكنسية ، يبين ان هذا الرقم ادنى من الواقع ايضا . وقد يهمل تارة عدد الأطفال المسلمين ، او زوجات العمال اللاتي لا يعملن .. فاذا روعي ذلك كله يصل المرء حسابيا الى حوالي ٢.٥ مليون مسلم على الأقل ، من بينهم نصف مليون دون الخامسة عشرة ، وحوالي ٦٠٠ الى ٧٠٠ الف امراة مسلمة ، وفي مقدمة مجموع المسلمين جالية الاتراك وهي تقدر بـ ١.٧ مليون ، تليها جالية اليوغوسلاف في حدود ٤٠٠ الف ، ثم العرب وابرز مجموعاتهم المغاربة والتوانسة . فالفلسطينيون ثم الباكستانيون فالايرانيون .. فالمسلمون ذوو الجنسية الالمانية .

واهم مناطق تجمع المسلمين ولاية رينانيا وستفاليا ، ولاسيما في كولونيا ، ثم برلين الغربية ، وولاية هسن ولاسيما في فرانكفورت . وتوجد اعداد كبيرة في ميونيخ وشتوتغارت وهامبورغ ، فضلا عن التجمعات الطلابية حيث توجد الجامعات .

ثانيا المشاكل التعليمية والثقافية

تشير بعض الارقام السالفة الذكر الى اهمية المشاكل التعليمية والثقافية من حيث :

١ - ارتفاع عدد الاطفال الى اكثر من ٦٠٠ الف .

٢ - من بينهم الناشئة (١٤ - ١٨) سنة بحدود ١٥٠ الفا .

٣ - وارتفاع نسبة العمال الذين يمثلون الأغلبية الساحقة بحدود ١.٥ مليون دون افراد اسرهم .

٤ - وارتفاع نسبة الاتراك بين العمال الى حوالي ١.٢ مليون عامل ، واصل معظمهم من الطبقة غير المتعلمة أو المثقفة في تركيا .

ومن ابرز وجوه المشاكل التعليمية والثقافية :

١ - عدم وجود نظام تعليمي يراعي الاسلام اطلاقا ، وقصور المحاولات البدائية المبذولة على هذا الصعيد .

٢ - عدم توفر المصادر الكافية باللغة الالمانية عن الاسلام ، المناسبة لأغراض التعليم ولاسيما على صعيد الأطفال والناشئة .

٣ - افتقاد وجود اي منهج تربوي تثقيفي على صعيد المانيا ككل بالنسبة لأبناء المسلمين .

٤ - افتقاد وسائل الاعلام والثقافة باللغة الالمانية للتعريف بالاسلام على المستوى المطلوب وبدرجة كافية .

وتجدر الاشارة هنا الى المعطيات التالية :

١ - توجد ٤٩ ترجمة لمعاني القران الكريم الى اللغة الالمانية ، منها ٧ متداولة ، ولكن ليس بينها ترجمة واحدة يمكن الركون اليها باطمئنان ، فهي إما من انتاج المستشرقين وقد ثبت للمطلعين عليها وجود اخطاء فيها ، او ان مؤلفيها استخدموا لغة «انجيلية قديمة» افقدتها روحها وحيويتها ، او هي من انتاج حركة «القاديانية» ، وهذه - رغم دقتها نسبيا - تحتوي على بعض التحريفات العقيدية الاساسية .

وقد بدات قبل سنوات محاولة لترجمة شاملة من قبل مجموعة من الأفراد المسلمين ، ويشرف على متابعتها حاليا المركز الاسلامي في ميونيخ . وتم الى الان انجاز ترجمة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

سورتي الفاتحة والبقرة . ولكن العمل بطيء لضعف الامكانات المخصصة لانجازه .

٢ ـ توجد عشرات الكتب باللغة الالمانية عن الاسلام ظهرت حديثا ، والمئات من انتاج المستشرقين قديما . ولكن ما صدر حديثا كان نتيجة اجتهادات ومبادرات متفرقة ، وليس ثمرة التخطيط المدروس . وبالتالي فلا يوجد تكامل بين الموضوعات . وقد تقع اخطاء في المحتوى .. فضلا عن عدم القيام حتى الان بعملية مسح وتقويم شاملة للمكتبة الاسلامية الالمانية .

وعلى اية حال فلا تعطي هذه الكتب منهجا صالحا للتدريس سواء لأطفال المسلمين او للمسلمين الذين اعتنقوا الاسلام حديثا .

وظهرت في السنوات الاخيرة خاصة سلسلة من الكتب التي تتحدث عن قضايا الاسلام والمسلمين على ضوء أخر التطورات في العالم الاسلامي ، ولكن الغالبية الكبرى منها ذات نظرة سطحية ، او انها تتحامل على الاسلام نفسه ، وتعرض تلك القضايا بصورة مشوهة يغلب عليها طابع الاثارة . كما ظهرت سلسلة اخرى من جهات كنسية تتعاون مع أسماء اسلامية . وهذه المؤلفات ـ بغض النظر عن النوايا ـ فيها تحريفات تمس الجانب العقيدي احيانا ، وتمس واقع المسلمين في المانيا الاتحادية احيانا اخرى . وترصد لها الكنيسة ، وترافقها جهود مكثفة مخططة على صعيد المحاضرات والمؤتمرات والندوات .. وان كانت لا تجد تداولا واسع النطاق في صفوف المسلمين انفسهم .

٣ ـ خاضت ولاية «رينانيا وستفاليناء ـ التي تضم التجمع الاكبر من المسلمين وعاصمتها دسلدورف وتقع في حدودها كولونيا وبون ـ تجربة لوضع «منهج تدريس» لأطفال المسلمين . ولكنها اعتمدت في ذلك على شخصيات من نطاق «معاهد الاستشراق والحوار النصراني ـ الاسلامي» وليست شخصيات معروفة أو موثوقا بها في صفوف عامة المسلمين . ولم تجر بعد دراسات تقويمية لنتاج تلك التجربة ، والمرجح ان تطبق تلك النتائج على كل حال ..

٤ ـ من السلبيات القائمة على صعيد تدريس اطفال المسلمين الاتراك خاصة ، ان عملية التدريس يخطط لها وينفذ على الصعيد الرسمي ، وبالتالي فنادرا ما تجد صدى ايجابيا على صعيد الأهالي المسلمين نظرا الى السياسة اللادينية التركية القائمة في الاصل .

وتلعب شخصيات تركية بعيدة عن الدين ـ يسارية غالبا ـ تعمل على المستوى النقابي ، دورا اساسيا في الضغوط التي تتعرض لها مدارس القران الكريم الخاصة التي ينظمها المسلمون الأتراك لأولادهم بصورة مستقلة عن السلطات التركية والالمانية .

٥ ـ توجد جهود جزئية محدودة تبذلها الجمعيات والروابط الاسلامية ، وأبرزها جهود المركز الاسلامي في ميونيخ والمركز الاسلامي في أخن لتعليم اطفال المسلمين ، ولكنها لا تعطي مردودا على مستوى الحاجة ، نظرا لنقص الطاقات الاختصاصية في ميونيخ ونقص الامكانات المادية والاختصاصية في أخن .

٦ ـ بالاضافة الى المجلات ذات الطابع الاستشراقي العلمي التي يقتصر انتشارها على المختصين والدارسين لعلوم الاستشراق ، لا تكاد توجد حاليا سوى مجلة «الاسلام» باللغة الالمانية ، التي تبنى المركز الاسلامي في ميونيخ إصدارها . ولكن طبيعة مواضيعها وحدود نطاق توزيعها ، تجعلها غير وافية بالأغراض الاعلامية الاسلامية المطلوبة على صعيد التعريف بالاسلام نفسه ، والاهتمام المباشر بقضايا المسلمين في المانيا الاتحادية .

ان المعلومات والمعطيات الاساسية السابقة توصل مبدئيا الى النتائج الأولية التالية :

١ ـ ان النسبة العظمى من اولاد المسلمين اطفال يفتقدون إمكانات تعلمهم الاسلام افتقادا شبه كامل .

ويضاف الى ذلك ان تعليمهم باللغة الالمانية في المدارس الالمانية غير مرض على الاطلاق ، اذ تذكر الاحصاءات ان ٢٥٪ من الاطفال في سن المدرسة الابتدائية الالزامية لا يدخلون المدرسة اصلا ، وان ٥٠٪ من التلاميذ المسلمين لا يصلون الى مرحلة الحصول على الشهادة المدرسية ، اي يقطعون دراستهم قبل ذلك .

كما يضاف الى ذلك أن النقص في العثور على اماكن تدريب مهني للناشئة من غير المسلمين الالمان ، يقابله نقص اكبر بكثير على صعيد الناشئة المسلمين .

٢ ـ إن ما يتوفر من مواد ثقافية اسلامية باللغة الالمانية هو دون المستوى المطلوب كما ونوعا ، فضلا عن عدم تقويم ما يوجد بالفعل ، مع امكانية ان يكون ذلك نقطة انطلاق لاي عمل إيجابي على هذا الصعيد في المستقبل .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية